مجلة جامعة دهوك، المجلد: 20، العدد: 2 (العلوم الانسانية والاجتماعية)، ص 150-159، 2017
DOI: https://doi.org/10.26682/hjuod.2018.20.2.9

"العلاقات السياسية بين العراق و مصر في عهد جمال عبد الناصر و نوري السعيد (1955 – 1958م)"

أحمد محمد نوري احمد العالم و شفيع محمد محمود الميرسيدي
قسم التاريخ، كلية التربية–عقرة، جامعة دهوك، اقليم كردستان – العراق.

(تاريخ استلام البحث: 10 تموز، 2017، تاريخ القبول بالنشر: 19 تشرين الثاني، 2017)

الخلاصة

يسلط البحث الضوء على ابرز القضايا التي استجدت في المنطقة العربية على اثر الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي في خمسينيات القرن العشرين والتي كان لكل من العراق بزعامة رئيس الوزراء نوري السعيد ومصر بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر موقفه الخاص منها, كحلف بغداد 1955 م الذي سعا العراق لعقده مع دول الجوار ليكون حاجزا يقف ضد المد الشيوعي المتنامي في المنطقة العربية , ومسألة الخلافات السياسية بين مصر والدول الغربية التي ادت الى شن العدوان الثلاثي عليها عام 1956م وموقف العراق منه ,فضلا عن موقف مصر من ثورة 14تموز 1958م في العراق.

الكلمات الدالة العراق: حلف بغداد مصر قناة السويس نوري السعيد جمال عبد الناصر

المقدمة

شهدت الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية 1939–1945م تنافسا واضحا بين الدول المنتصرة في الحرب, وظهر على مسرح السياسة العالمية كتلتان متصارعتان كلٌ له نظمه واهدافه الخاصة النابعة من مصالحه الذاتية ,وتمثل هذا الصراع في الحرب البادرة1945–1990م بين المعسكر الغربي (الرأسمالي) الذي تزعمته الولايات المتحدة وحليفتها بريطانيا. والمعسكر الشرقي (الاشتراكي) الذي تزعمه الاتحاد السوفيتي والذي برز كقوة عظمى بعد الحرب العالمية الثانية.

لم تكن المنطقة العربية بمعزل عن مجريات السياسة الدولية فقد تأثرت بها بشكل مباشر إذ سرعان ما بدأ تظهر خلافات سياسية بين تلك الدول حول عدة قضايا خاصة بين العراق الذي كان يتزعمه رئيس الوزراء نوري السعيد 1930–1958م ومصر التي كان يتزعمها الرئيس جمال عبد الناصر1945–1970م .

تركت هذه الخلافات اثارها الخطيرة على المجريات السياسة لكلا الدولتين حتى الوقت الراهن, وقبل الدخول في التفاصيل لابد من تقديم نبذة مختصرة عن حياة كلا الزعيمين لتوصل بشكل أعمق الى طبيعة الخلافات السياسية بينهما.

اولا _السيرة الذاتية لنوري السعيد وجمال عبد الناصر :

نوري السعيد 1888–1958م:

ولد محمد نوري السعيد في بغداد عام 1888م في منطقة " رتبة الكاوو" قرب ساحة الميدان الحالية في بغداد، والده كان موظفا في دائرة الأوقاف ببغداد في المعهد العثماني، وهو ينتمي إلى الفئة المثقفة النامية وبالتحديد الجناح ألذي انعكست عليه سلبيات الحكم العثماني[1] .

تلقى السعيد تعليمه الابتدائي في بغداد حيث دخل المدرسة الرشدية العسكرية وهو في الثامنة من عمره وقضى فيها أربع سنوات، ثم دخل الإعدادية ألعسكرية في بغداد عام 1899م

مجلة جامعة دهوك، المجلد: 20، العدد: 2 (العلوم الانسانية والاجتماعية)، ص 150-159، 2017
DOI: https://doi.org/10.26682/hjuod.2018.20.2.9

حيث تلقى فيها علوم ألرياضيات والجبر والهندسة وعلم الفلك واللغات، تخرج منها عام 1902م [2],ثم انتقل إلى استانبول للدراسة في كليتها ألعسكرية عام 1903م ومنذ ذلك الوقت بدأت تتضح ملامح نوري السعيد الشخصية، وبعد تخرجه من الكلية الحربية برتبة ملازم ثاني في أيلول عام 1906م عين ضابطا في وحدة المشاة السادسة في بغداد, ثم التحق بكلية الاركان في استانبول عام 1911م, وخلال السنوات 1912-1913م استرك في الحرب البلقانية. ثم التحق بالحركات ألقومية العربية التي ظهرت في تلك الفترة , وشارك في تأسيس جمعية العهد عام 1913م واشترك في الثورة العربية عام 1916م وكان يوسم بالشجاعة النادرة، كما شارك في تأسيس الحكومة العربية في دمشق 1918-1920 م, والحكومة الملكية في العراق 1921-1958م بزعامة الملك فيصل الأول عام 1921-1931م [3] لعب نوري السعيد دورا بارز في تاريخ العراق خلال العهد الملكي حيث ألف حتى عام 1958م اكثر من خمسة عشر وزارة، وقاد العراق في مراحل حرجة من تاريخه اثبت من خلالها قدرة إدارية وسياسية بارعة [4].

1- جمال عبدالناصر1945-1970م:

ولد جمال عبد الناصر عام 1918م في قرية "بني مر " إحدى قرى الصعيد المصري في أسيوط ، وهو من أسرة معروفة بمواقفها الوطنية تركت البيئة الفلاحية التي عاش فيها اثرا بالغا في تبلور فكره وسلوكه [5].

التحق عبد الناصر بعم له في ألإسكندرية ليتلقى تعليمه هناك عام 1925-1926م ، بعدها انتقل الى القاهرة 1928 م وواصل دراسته هناك ، كان جمال عبد الناصر يوصف بذكائه وانضباطه الشديدين، كما كان يوصف وبطنيته الشديدة حيث يذكر أنه شارك في مظاهرة ضخمة ضد الإنكليز وتعرض للاعتقال, التحق عبد الناصر بمدرسة النهضة الثانوية في القاهرة عام 1933م[6], وبعد تخرجه منها انضم الى حزب مصر الفتاة الذي أسس عام 1948 م ,و كان عبد الناصر عنصرا فاعلا فيه, التحق بعد تخرجه من الثانوية بالكلية ألحربية الدورة الثانية وعند تخرجه منها التحق بالخدمة العسكرية في الكتيبة الثالثة بنادق و بدأ نشاطه الثوري منذ تلك الفترة على المستوى القيادي وقرر مع مجموعة من رفاقه النضال من أجل تخليص مصر من الهيمنة الاستعمارية وتوحيد التيار الفكري في إطار سياسي واحد, تزعم جمال عبد الناصر تنظيم الضباط الأحرار الذي قام بثورة تموز1952م والتي أدت إلى الغاء النظام الملكي وإعلان النظام الجمهوري واصبح هو رئيسا للجمهورية المصرية عام 1954م ، ومنذ ذلك التاريخ وحتى عام 1970م لعب دورا بارزا في السياسة العربية وسميت هذه الحقبة من التاريخ المصري بالحقبة الناصرية [7].

ثانيا – حلف بغداد والصراع بين نوري السعيد وجمال عبد الناصر:

ما أن وضعت الحرب العالمية أوزارها عام 1945م حتى انقسم العالم الى معسكرين رئيسيين احدهما غربي بزعامة الولايات المتحدة الامريكية والاخر شرقي بزعامة الاتحاد السوفيتي، ولقد عرف هذا النظام بنظام القطبية الثنائية الذي تمخض عنه قيام الحرب الباردة التي تميزت بحالة العداء والتوتر الشديد بين المعسكرين[8]. ومنذ بداية الخمسينات احتدم هذا الصراع بشكل كبير ومن هنا سعت الولايات المتحدة وحليفتها بريطانيا ومن دافع المصالح الذاتية الى ادخال دول العالم بشكل عام ودول الشرق الأوسط على وجه الخصوص في تحالفات وتكتلات، فكان حلف بغداد 1955م من اهم تلك التكتلات التي دخلت المنطقة العربية من جراءه في اتون خلافات مريرة وخاصة في مجال العلاقات العراقية – المصرية في تلك الفترة.

دور نوري السعيد في عقد حلف بغداد 1955 م:

تولى نوري السعيد رئاسة الوزراء مجددا في آب/1954م، ولقد نالت الشؤون الخارجية للعراق القسط الأوفر في منهاج حكومته. فبدا يخطط للدخول في تحالف يحقق للعراق مجموعة من المكاسب على الصعيد الداخلي والخارجي [9].

مجلة جامعة دهوك، المجلد: 20، العدد: 2 (العلوم الانسانية والاجتماعية)، ص 150-159، 2017
DOI: https://doi.org/10.26682/hjuod.2018.20.2.9

كان نوري السعيد يدرك أن ميثاق جامعة الدول العربية الذي اقر في الثاني والعشرون من أذار 1945م غير كافي لتحقيق ضمان جماعي عربي للدفاع عن الأقطار العربية في حالة قيام حرب عالمية ثالثة، كما أنه اعتقد أيضا أن وضع العراق الجغرافي والاستراتيجي قد فرض عليه مصلحة دفاعية مشتركة مع إيران وتركيا بسبب مجاورتهما للاتحاد السوفيتي, وكان ينظر الى حلف بغداد بمنظار مختلف فهو يعتقد أن الهجوم السوفيتي كان وشيك الوقوع وأن العراق دولة ناشئة وهو بحاجة ماسة الى اسناد قوة عظمى ليتمكن من دعم قواه وتعزيز دفاعاته وتطوير موارده من دون التعرض إلى اعتداءات خارجية, كما أنه كان عازما على انهاء المعاهدة العراقية – البريطانية لعام 1930م وجعل التعاون بين العراق والدول الأخرى مطابقا واحكام المادة(51) من ميثاق الامم المتحدة التي تنظم العلاقات بين الدول ذات السيادة للمحافظة على السلم العالمي[10], وكان يرى أن العراق بموقعه الاستراتيجي الجغرافي بحاجة الى تأمين سلامته بعقد اتفاقيات صداقة وحسن جوار مع جارتيه تركيا و ايران , مبعث القلق و الاضطرابات على الحدود العراقية, كما كان أن ثروات العراق وقلت عدد سكانه كان بحاجة إلى مساعدة الدول المتقدمة لاستثمارها على الوجه الامثل ,وانطلاقا من تلك الثوابت حاول نوري السعيد تكيف سياسة العراق لتتلأم مع تطور الظروف الدولية و زيادة تعقيداتها في منطقة الشرق الأوسط [11].

ومن هذه المنطلقات قرر نوري السعيد ربط العراق بحلف اقليمي دولي يكون بديلا عن المعاهدة العراقية– البريطانية لعام 1930 م ويصون سلامته واستقلاله [12], فتوجه إلى تركيا لتحقيق هذه المكاسب، وفعلا تم عقد معاهدة التعاون العراقية– التركية في الرابع والعشرون من شباط 1955م بمباركة بريطانية[13]. وفي نفس هذا الإطار تم عقد مباحثات بين العراق وبريطانيا كانت نتيجتها عقد اتفاقية بين الطرفين في الرابع من نيسان 1955م تحت مظلة حلف بغداد ألذي انضمت اليه بريطانيا في السادس والعشرون من نيسان من العام نفسه,. كما سعت الحكومتان التركية والعراقية إلى ضم دول أخرى إلى الحلف، فانضمت باكستان إليه في الثالث والعشرون من أيلول من نفس العام وكذلك فعلت إيران, وفي الحادي والعشرون من تشرين الثاني 1955م عقد أول مجلس للحلف في بغداد بمشاركة الدول الأعضاء و تقرر أن يعقد مؤتمر اخر على مستوى الوزراء في طهران خلال العادم القادم. فتحقق بذلك هدف نوري السعيد من هذا الحلف بالتخلص من المعاهدة العراقية – البريطانية لعام 1930م [14] .

موقف جمال عبد الناصر من حلف بغداد 1955م :

في ما كان نوري السعيد يعقد اجتماعاته المتواصلة الممهدة للحلف ، أعلن عبد الناصر موقفه الصريح من كل الأحلاف ألتي تعقد بين الدول العربية والدول الغربية حيث أكد على, رفض الأحلاف العسكرية , وتوحيد السياسة العربية , وتقوية ودعم الضمان الجماعي المشترك[15].

اثناء المفاوضات التمهيدية للحلف ومحاولة العراق الانضمام الى الحلف التركي– الباكستاني تعرض العراق لحملة اعلامية واسعة قادتها اذاعة "صوت العرب" المصرية التي اسسها جمال عبد الناصر في الرابع من تموز عام 1953م بدعوة خروج العراق على المجموعة العربية ليضيق على مصر بشكل خاص ,وفي الثاني عشر من حزيران نشرت جريدة "اخبار اليوم" المصرية مقالا بعنوان "مؤامرة لعزل مصر عن العالم العربي " كان مفهوما من قراته أنه نشر بتوجيه من الحكومة المصرية , حملت فيه العراق وزر تلك الخطط ,ونتيجة لاستمرار تعرض الإذاعة, والصحافة المصرية الى العراق رائ السفير العراقي في القاهرة أنه من المفيد مقابلة جمال عبد الناصر وصلاح سالم وزير الارشاد القومي المصري 1953– 1958م لبحث العلاقات العراقية –المصرية والتخفيف من حدة توتر الحكومة المصرية وفي اثناء اللقاء برر الرئيس جمال عبد الناصر موقف حكومته بأن العراق لم يلتزم بميثاق الجامعة العربية والضمان الجماعي من جهة تحاشي الارتباط باتفاقيات جديدة تتعارض مع

مجلة جامعة دهوك، المجلد: 20، العدد: 2 (العلوم الانسانية والاجتماعية)، ص 150-159، 2017
DOI: https://doi.org/10.26682/hjuod.2018.20.2.9

مواثيق الجامعة العربية وأنه لم يبحث هذا الامر مع مصر والاقطار العربية الأخرى على وفق المصلحة العامة ,وفي ضوء ذلك تقرر في القاهرة ارسال وفد مصري لزيارة عدد من الاقطار العربية كسبا لمزيد من الدعاية للموقف المصري من الحلف, فنطلق صلاح سالم وانضم اليه محمد رياض مدير الشؤون العربية لوزارة الخارجية المصرية في جولة شملت المملكة العربية السعودية ولبنان واليمن [16]. نظر العراق إلى تلك الزيارة بعين الحذر والشك وبخاصة زيارة المملكة العربية السعودية التي اتفق فيها على توحيد المساعي المصرية والسعودية في ميدان السياسة الخارجية وتعزيز التعاون في الميدانين الاقتصادي والعسكري [17].

قرر الوفد المصري زيارة العراق أيضا بهدف تحسين العلاقات بين الطرفين والتوصل إلى تفاهم عربي بشان الانضمام الى الميثاق التركي –الباكستاني ,وقد وصل صلاح سالم الى العراق والوفد المرافق له في الرابع عشر من أب 1954م في زيارة تضمنت ثلاثة أهداف وهي إقناع المسؤولين في الحكومة العراقية , بان الزيارة التي قام بها الوفد المصري الى المملكة العربية السعودية لمن تكن موجه ضد المصالح العراقية ,تحسين العلاقات الثنائية وازالة سوء الهم بين البلدين , والتباحث مع الحكومة العراقية في صيغة موحدة للسياسة العامة بين الاقطار العربية والدول الغربة ومن ضمنها شؤون الدفاع عن المنطقة ,وقد جرت المباحثات بين المسؤولين المصريين و العراقيين على مرحلتين عرفت بمباحثات سرسنك (مصيف مشهور في كوردستان العراق) حيث كانت تصطاف العائلة الملكية في العراق [18] .

تراس نوري السعيد مباحثات الجولة الأولى ألتي تضمنت تصحيح المواقف وازالة سوء الفهم بين البلدين ازاء بعض المسائل التي عكرت صفو العلاقات الثنائية ,اما الجولة الثانية وهي الأهم فقد اقتصرت على مناقشة العلاقات العربية –العربية وقضية الأحلاف مع الدولة الغربية وخاصة مواقف مصر من سياسة العراق الخارجية كعلاقته ببريطانيا والتعاون مع الولايات المتحدة الامريكية في مجال التسليح , ووقوفه الى جانب الغرب ضد المد الشيوعي ,عوضا عن مسالة الاتحاد بين العراق وسوريا, وقد اشترط نوري السعيد للتعاون مع مصر في اطار الجامعة العربية أن تغير موقفها السلبي ضد الغرب , وتعلن من طرفها وقوفها الى جانبه ضد المد الشيوعي , وأن تشجع بقيت الأقطار العربية على ذلك , اتفق الطرفان على إعادة النظر في ميثاق الضمان الجماعي والعمل على تقويته وجعله أداة قوية فعالة تمكن البلاد العربية من مواجهة اي خطر يهددها على أن يدرس كل طرف هذا الموضوع ويقوم بإجراء الاتصالات الازمة مع الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا بهذا الشأن ,عوضا عن اتفاق الطرفين على مكافحة المبادئ الهدامة ,وتطرق المحضر الى استئناف المباحثات في القاهرة في غضون شهر أيلول من العام نفسه ثم قيام الطرفين بالاتصال بممثلي بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية بغية الوصول الى اتفاق شامل ,وقد بلغ من ثقة نوري السعيد بمباحثاته مع صلاح سالم أنه ناقش تسمية التنظيم الجديد مع سفراء بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية في بغداد ,وعد ذلك الاتفاق بمثابة موافقة مبدئية مصرية على تطوير اتفاق اقليمي ربما يشمل تركيا وإيران وباكستان ,بمعنى أنه زج مصر إلى جانب العراق في التعاون مع الدول الغربية [19] .

سرعان ما نفى صلاح سالم بعد عودته إلى القاهرة في بيان له عقب اجتماعه مع عبد الناصر أن مصر لم توافق على أي نوع من أنواع الاتحاد بين القطرين العراق وسوريا كما وبأنها ترفض الأحلاف مع الغرب رفضا قاطعا [20]

استاء نوري السعيد بسبب رفض مقترحات سرسنك وقرر الذهاب الى القاهرة كمحاولة أخيرة لإقناع الرئيس عبد الناصر للإنظام الى حلف بغداد, وصل نوري السعيد القاهرة في منتصف ايلول 1954م ,واستقبل بحفاوة بالغة ظهرت في تعليقات الصحف المصرية التي وصفته "بالمجاهد في سبيل القضايا والاماني العربية " [21].

DOI: https://doi.org/10.26682/hjuod.2018.20.2.9

اجتمع نوري السعيد فور وصوله إلى القاهرة بعبد اللطيف بغدادي القائد العسكري لجناح ثورة تموز 1952م في مصر واتفق الطرفان على المقترحات والآراء التي سيتطرق اليها رئيس الوزراء العراقي امام الرئيس جمال عبد الناصر , دام الاجتماع أربعة ساعات ودار بمنتهى الصفاء وبدى نوري السعيد مبتهج لأنه استطاع أن يقنع بغدادي بوجه نضره وذهب بعد ذلك للاجتماع بالرئيس المصري وفي الاجتماع فوجئ بموقف الأخير الرافض للأحلاف مع الغرب حتى أنه انفعل وتوجه بكلامه الى بغدادي وسأله انه كان مقتنعا بالأمس وكان يؤيد المحادثات فأجابه البغدادي "اسف لم يحصل " فانفعل نوري السعيد وعاجلته نوبة إغماء من شدة التأثر وتم نقله الى غرفة أخرى بقصد المعالجة والاسعاف ثم غادر القاهرة في السابع عشر من أيلول متجها إلى لندن دون أن تتمخض مناقشته مع الجانب المصري على أية نتائج ملموسة وسعى بعد ذلك إلى عقد اتفاق مع تركيا, في ما سمي بميثاق التعاون المتبادل في تشرين الأول 1954م,وكان على اثر صدور البيان المشترك في الثالث عشر من كانون الثاني1955م بصدد مشروع الاتفاق العراقي – التركي [22]، وجه عبد الناصر في يوم السادس عشر منه الدعوة الى رؤساء الدول العربية للاجتماع في ألقاهرة لتبادل وجهات النظر في الموقف الناجم عن هذه المبادرة، وكان يهدف من هذا الاجتماع عزل الحكومة العراقية سياسيا عن حكومات الدول العربية ومحاولة اقناع هذه الدول بعدم الانضمام إلى حلف بغداد[23].

حاول عبد الناصر اقناع الوفود العربية باتخاذ موقف حازما من العراق فرفض جميع رؤساء الوزراء العرب ذلك عدا الوفد السعودي الذي التزم جانب مصر, وذلك لما عرف عن موقفه من العراق والبيت الهاشمي [24] ، ونتيجة لذلك لم يتمكن عبد الناصر من الحصول أي تأييد لموقفه, كما أن نوري السعيد كان عازما على توقيع الحلف في الرابع والعشرون من شباط 1955م وهو ما تم فعلا , قد عاد صلاح سالم مرة أخرى إلى العراق كمحاولة منه لرأب الصدع بين الطرفين إلا أن زيارته لم تتكلل بالنجاح[25].

في هذه الاثناء قامت القوات الاسرائيلية بالهجوم على القوات المصرية في قطاع غزة الساحلي في الثامن والعشرون من شباط و ازداد على اثره التوتر بين الطرفين إذ عد الرئيس جمال عبد الناصر هذا العدوان مخطط ضد مصر لإجبارها على الانضمام الى حلف بغداد، فقامت الاذاعات المصرية بشن حملات اعلامية ضد الحلف وضد المروجين له [26].

كانت هنالك عدة اعتبارات دفعت الرئيس جمال عبد الناصر إلى رفض انضمام مصر الى الحلف, منها انه كان يؤمن بوجود مصلحة عربية واحدة وامن عربي واحد ,ومن هنا كان يتصور أن الدفاع عن العالم العربي لابد أن يرتكز على ميثاق الضمان الجماعي العربي الذي أقرته جامعة الدول العربية, وخروج دولة عربية عن هذا الإطار يخل بتوازنه , وكان يعتقد أيضا أن الحكومة العراقية سوف تحاول وكانت تحاول فعلا ايجاد عمق للحلف الذي انضمت اليه, وانها سوف تضغط على دول عربية أخرى للانضمام اليها فيما ذهبت اليه , وانها ستحاول ضم سوريا ولبنان والأردن الى حلف بغداد وهو ما سيؤدي إلى عزلة مصر أمام اسرائيل والغرب [27], من جهة أخرى كان عبد الناصر لا يرى خطرا يهدد المنطقة العربية من ناحية الاتحاد السوفيتي, واذا كان هناك ثمة خطر من المد الشيوعي فانه سوف يأتي عن طريق تفكك الجبهات الداخلية في كل قطر عربي وأن حماية الجبهات الداخلية للأقطار العربية لا تأتي عن طريق الأحلاف العسكرية مع الغرب وإنما تتحقق عن طريق الاستقلال ووضع خطط طويلة الأمد للتنمية الاقتصادية و الاجتماعية وهذا ما أكده فعلا أمام وزير الخارجية البريطاني انطوني ايدنAnthony Eden (1955–1957م) اثناء زيارته لمصر في العشرين من شباط عام 1955 م[28].

مجلة جامعة دهوك، المجلد: 20، العدد: 2 (العلوم الانسانية والاجتماعية)، ص 150-159، 2017
DOI: https://doi.org/10.26682/hjuod.2018.20.2.9

ثالثا–تصاعد وتيرة الخلافات السياسية بين العراق ومصر 1956–1958م :

اتسمت الفترة الممتدة من عام 1956م وحتى عام 1958م بالتوتر الشديد في العلاقات العراقية –المصرية وخاصة على صعيد الخلافات السياسية بين نوري السعيد وجمال عبد الناصر, وظهر ذلك بشكل واضح اثناء العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م ,فضلا عن موقف الرئيس المصري من النظام الملكي الحاكم في العراق وثورة الرابع عشر من تموز 1958م.

1- موقف نوري السعيد من العدوان الثلاثي على مصر1956م:

انتهج الرئيس جمال عبد الناصر منذ ثورة تموز 1952م سياسة تهدف إلى تحقيق مبدأ الزعامة المصرية في الوطن العربي والتي من شانها دعم سياسة مصر الداخلية والخارجية, وعندما كانت مصر تسير باتجاه تطوير مؤسساتها وتعزيز اقتصادها الداخلي ، قامت الدول الكبرى الولايات المتحدة وبريطانيا بسحب عروضهما في الإسهام بمشروع بناء السد العالي ألتي كانت تعول عليه الكثير في تحسين اقتصادها وزيادة رقعة أراضيها الزراعية [29]. فما كان من مصر إلا و أن اعلنت تأميم قناة السويس في السادس والعشرون من تموز1956م ردا على الإهانة ألتي وجهت لها بسحب تمويل السد العالي[30].

التقت مصالح (بريطانيا وفرنسا واسرائيل) على توجيه ضربة لمصر لإخضاعها واعادتها إلى المعسكر الغربي والدول السائرة في ركابها فقررت غزو مصر وفق خطة سرية نفذت اسرائيل الجزء الاول منها باعتدائها على الاراضي المصرية في التاسع والعشرين من تشرين الأول 1956م ثم قامت كل من فرنسا وبريطانيا بتنفيذ جزئها الثاني حيث قامت القوات الفرنسية – البريطانية بغزو الاراضي المصرية في سيناء وانزال قواتهما في مدنه[31]ا.

كان نوري السعيد برفقة الملك فيصل الثاني (1953–1958م) وخاله عبد الاله في لندن على مائدة انطوني ايدن في مقره الرسمي عندما ابلغ بخبر تأميم قناة السويس[32] ، فظهر جليا وجود تطابق في وجهات النظر بين الجانبين في الآراء والمقترحات لمواجهة ما سمي" بالتحدي"[33].

تناول اكثر من مصدر الحديث الذي دار على بين نوري السعيد وانطوني ايدن اثناء تلقيهما خبر تأميم قناة السويس وهي تكاد تجمع على قول نوري السعيد حينها: "لقد كان يجب أن يستشيرنا في مثل هذا القرار ,لأنه يؤثر على الدول العربية كلها خصوصا الدول المنتجة للبترول" ,فأجاب ايدن :"لقد ذهب بعيدا ...قد فقد صوابه ولابد ان نعيده الى الصواب " ,فأجابه قائلا :" لابد أن تضربه ...وتضربه بشدة ...وتضربه الان "[34] غير أن مصادر مقربة من نوري السعيد اكدت بأن الحديث الذي دار بين الجانبين حرف وشوه بشكل متعمد, واكدت أن نوري السعيد تحدث عن هذا اللقاء في بغداد قائلا: "كنا نتباحث في موضوع شركة القناة فقلت لايدن بأن التأميم من حق الشعوب ,وأنه يجب الاتفاق بالحسنة حول المشاكل التي ستنجم من الغاء العقد القائم فشعر باستياء من كلامي وبدا يأنبني على دفاعي عن حركة التأميم واللهجة القاسة التي يستخدمها عبد الناصر لتبرير موقفه", ثم اضاف : " وكان ايدن يأمل أن ابدي سخطي على هذا الموقف وعندما كرر العتاب ضقت ذرعا به وقلت له بانفعال, التأميم من حق الشعوب ولأرى فيه شائبة ,اما إذا كان بينكما ثار وتشعر بريطانيا بأن مصالحها مهددة فانتم احرار باتخاذ قراراتكم ,فلست وصيا على عبد الناصر ,بل اقول لكم بأنه لم يأخذ رائي أي دولة عربية عندما قام بالحركة "[35].

لو نظرنا الى المسالة من خلال المعطيات التاريخية لوجدنا أنه على الرغم من امتعاض نوري السعيد من قرار التأميم , إلا أنه لم يكن لديه أية مصلحة من تحريض بريطانيا والغرب على مصر خاصة وأنه كان يدرك مدى خطورة ذلك على الوضع الداخلي للعراق الذي كان يميل إلى جانب مصر وخاصة بين أوساط القوميين العرب في الحكومة العراقية وبين الأوساط الشعبية كذلك

مجلة جامعة دهوك، المجلد: 20، العدد: 2 (العلوم الانسانية والاجتماعية)، ص 150-159، 2017
DOI: https://doi.org/10.26682/hjuod.2018.20.2.9

,أما على الصعيد الخارجي فكان نوري السعيد يدرك خطورة انضمام اسرائيل على خط المواجهة مع مصر ومدى تأثير ذلك على المنطقة العربية التي سيقف برمته الى جانبها ويترك العراق في عزلة من الناحية السياسية وهو الذي كان يسعى جاهدا لجذب الدول العربية للانضمام إلى حلف بغداد ا[36], عوضا عن انه كان معروف بخبرته السياسية و لم يكن ساذجا ليدلي بهكذا تصريح أمام المسؤولين البريطانيين ,ومع ما كانت تروجه اذاعة صوت العرب من دعاية ضد الحكومة العراقية في الاوساط الشعبية العربية يجعلنا نقف أمام ما جاء في الحديث ألذي دار بين نوري السعيد وايدن موقف المشكك[37] .

بعد عودة نوري السعيد إلى العراق اجتمع بمجلس الوزراء واتخذ بعض القرارات المهدئة للشارع العراقي الذي بات صاخبا من جراء الاعتداء على مصر منها:

الاحتجاج على حكومتي بريطانيا وفرنسا على ما قامتا به من اعتداء ,واعداد الجيش العراقي للذهاب الى الأردن تحسبا لأي اعتداء اسرائيلي عليها , واعلان حالة الطوارئ في البلاد[38], كما اصدرت الحكومة العراقية بيانا في الخامس عشر من أب ا 1956م ,جاء فيه: "إن العراق يعترف بحق مصر في تأميم قناة السويس وأن الحكومة العراقية تأمل بأن تستعمل الحكمة اثناء المحادثات بين الطرفين لإيجاد الحلول التي تضمن لمصر سيادتها واستقلالها وتحفظ كرامتها " أما عبد الناصر فقد ارتاح لصدور مثل هذا البيان وطلب من السفير العراق في القاهرة أن يبلغ حكومته شكره وتقديره على هذا الموقف, وعندما بدا العدوان الثلاثي على مصر اعربت الحكومة العراقية فوراً استعدادها لبذل كافة الجهود التي تطلبها "الاخوة وقدسية المواثيق" وبناءً على ذلك طلب نائب وزير الخارجية المصرية من السفير العراقي ارسال برقية تحمل الشكر والامتنان على مواقف العراق النبيلة تجاه حكومته اثناء محنتها[39].

ساند الموقف الشعبي في العراق موقف الحكومة المصرية وطالب الحكومة افساح المجال للقوى الوطنية لمساندة مصر ونصرتها كما اجمعت الصحف العراقية على تايد قرار التأميم و عمت المظاهرات أرجاء العراق وكانت المدن الكردية في كردستان العراق سباقة الى اظهار تعاطفها وتأييداها لنضال الشعب المصري من اجل نيل الحقوق و الحريات ,كما قدم الحزب الديمقراطي الموحد لكردستان العراق, بزعامة السيد مصطفى البارزاني (رحمه الله)دعمه ومساندته لمصر وكان السيد البارزاني مقيما حينها في موسكو فبعث ببرقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر استنكر فيها العدوان على مصر وأبدى رغبته للذهاب اليها و الدفاع عنها ,كما أجرى اتصالات وزيارات حثيثة مع المسؤولين السوفييت لمساعدة مصر ,وقد قدر الرئيس المصري هذه المبادرة مدرك ابعاد النضال المشترك بين الشعبين من اجل نيل الحقوق والحريات ,كما لم يكن موقف الشعب الكردي بمعزل عن قواه الوطنية الذي خرج هو الاخر بمظاهرات شارك فيها الشعب والطلبة الكورد تأييدا للموقف المصري[40].

على الرغم من موقف الحكومة العراقية الرسمي المساند لمصر والرافض للعدوان عليها اتهم الرئيس جمال عبد الناصر دول حلف بغداد بتقديم الدعم للدول المعتدية ومنها العراق مشيرا بأصابع الاتهام الى نوري السعيد, فقد جاء على لسان مدير مكتبه علي صبري بان العدوان الذي وقع على مصر ارتبط بحلف بغداد كما واتهم العراق وتركيا بتقديم الدعم للدول المعتدية[41].

2- موقف الرئيس جمال عبد الناصر من ثورة 14 تموز 1958م في العراق :

عمل نوري السعيد خلال عام 1956 م افضل ما بوسعه من أجل توحيد السياسية الخارجية للعراق مع الأقطار العربية وبخاصة مصر ,وسعى إلى تقوية الروابط مع الدول العربية لتحقيق هذا الهدف وخاصة مع لبنان والأردن والسعودية وتونس والمغرب وليبيا والسودان[42]. في المقابل كان الرئيس جمال عبد الناصر على صلة بجميع التنظيمات ألتي تسعا لقلب نظام الحكم في العراق ، وخاصة تنظيم الضباط الأحرار الذي شكل عام 1952م من

مجلة جامعة دهوك، المجلد: 20، العدد: 2 (العلوم الانسانية والاجتماعية)، ص 150-159، 2017
DOI: https://doi.org/10.26682/hjuod.2018.20.2.9

الضباط العراقيين على غرار تنظيم الضباط الأحرار في مصر, وهو ما اكده بنفسه عند اندلا ع الثورة في تموز عام 1958م , وقد كان اول اتصال لحركة الضباط الاحرار العراقية بالقيادات المصرية عام 1953 م[43]. غير أنه بحكم حداثة هذه التنظيم لم تأخذ تلك الاتصالات طابع الجدية, وتشير المصادر بان حركة الضباط الاحرار العراقية اتصلت بالرئيس عبد الناصر عام 1953م عن طريق الملحق العسكري المصري في العراق جمال حامد الذي جاء ليشارك في احدى تمارين الجيش في كوردستان العراق [44],وعندما تشكلت اللجنة العليا للتنظيم في العراق عام 1957م [45] وجدت نفسها بحاجة كبيرة إلى طلب المساعدة و الدعم من مصر[46] , فقررت أن ترسل مندوبين للاتصال بالرئيس جمال عبد الناصر ودراسة موضوع القيام بالثورة ضد النظام الملكي وماذا سيكون موقف مصر عند اندلاعها ، وفي هذا اللقاء اعرب الرئيس المصري عن تاييده لتنظيم الضباط الاحرار في العراق كما وابدا استعداده بلاده لتقديم كل التسهيلات الممكنة ووضعها تحت تصرفهم , كما اكد على أن المسؤولين السوفييت ابلغوه تأييدهم ودعمهم لقيام ثورة شاملة في العراق[47].

وبعد اندلا ع الثورة وتمكنها من الإطاحة بالحكومة الملكية وقتل نوري السعيد [48] ارسل عبد الناصر برقية إلى مجلس السيادة تؤكد اعتراف مصر بالنظام الجمهوري في العراق [49].

سمع عبد الناصر بأنباء الثورة من خلال المذياع اثناء زيارته ليوغسلافيا فكان لابد من تنفيذ وعده للثوار، فاتجه سرا إلى روسيا لتباحث مع القادة السوفييت بخصوص الاحداث في العراق وكان عبد الناصر يسعى للحصول على اعتراف سوفييتي ودولي بالثورة خشية من قيام دول حلف بغداد باتخاذ اي اجراء ضدها فأعرب نيكيتا خروتشوف Nikita Khrushchev (1946–1955م) رئيس الاتحاد السوفيتي أن المتطوعين السوفييت متأهبون في المطارات للذهاب فور الطلب [50].كما وأصدر عبد الناصر بياناً من دمشق جاء فيه : " أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة تعلن أن أي عدوان على الجمهورية العراقية يعتبر عدوانا عليها ", كما واعرب عن استعداد الجمهورية العربية المتحدة في الدخول في معارك ضد أية تحركات غربية ضد الثورة, من جهتها أرسلت حكومة الثورة وفداً على مستوى عل لمقابلة جمال عبد الناصر برئاسة العقيد الركن عبد السلام عارف نائب القائد العام ونائب رئيس الوزراء العراقي وعضوية محمد حديد وزير المالية ومحمد صديق شنشل وزير الإعلام والدكتور عبد الجبار الجومرد وزير الخارجية ,وقد وصل الوفد في الثامن عشر من تموز 1958م واستقبل استقبالا حماسيا واجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر واسفرت الزيارة عن توقيع اتفاقية تضمنت التأكيد على التمسك بالمواثيق والعهود بين البلدين, وعلى راسها ميثاق الجامعة العربية وميثاق الدفاع المشترك ,كما اكدت وقوف البلدين كيد واحدة في الدفاع ضد أية عدوان يقع عليهما أو على أي منهما, والمباشرة في اتخاذ الخطوات العملية في تنفيذه, كما شدد الاتفاق على التعاون الكامل في المحيط الدولي, والتمسك بميثاق الأمم المتحدة ,ودعم جهود السلام في الشرق الأوسط والعالم, واتخذ الخطوات العاجلة لتنمية التعاون الاقتصادي والثقافي بين البلدين, والتشاور في جميع الشؤون المشتركة [51].

الخاتمة

إن العقلية السياسية التي ينطلق منها كلا الزعيمين نوري السعيد وجمال عبد الناصر كانت مختلفة تمام الاختلاف فالأول كان ينتمي إلى فئة السياسيين العرب التقليديين بحكم كونه عاصر الفترة العثمانية وشارك في الثورة العربية عام1916م وشارك في حكومة الملك فيصل الأول في دمشق و العراق وكان يدرك خبايا السياسة الدولية ويميل إلى بقاء الانظمة الملكية, اما عبد الناصر الذي ينتمي إلى خلفية فلاحية فكان من الضباط الشباب الثوريين الناقمين على الحكومات الملكية العربية وسياساتها على الصعيدين الداخلي و الخارجي لذا كان من الطبيعي أن تنشأت

DOI: https://doi.org/10.26682/hjuod.2018.20.2.9

بينهما ضغينة على المستو الشخصي تؤدي الى رفض سياسة كل منهما للأخر.

على الرغم من الشعارات الوحدوية التي كان يطلقها كلا الزعيمين إلا انهما في الواقع كانا ينطلقان من منظور قطري فكل منهما كان يعمل جاهدا من اجل كسب اكبر قدر من الدعم لدولته على الصعيدين الداخلي و الخارجي ,فالعراق يعمل من اجل الغاء معاهدة عام 1930م مع بريطانيا وذلك عن طريق عقد اتفاقيات بديلة مع الدول الاقليمية و الغربية تحقق اكبر قدر ممكن من المكاسب الداخلية على الصعيدين السياسي و الاقتصادي تدرا عنها التهديدات الخارجية التي كانت متمثلة بخطر المد الشيوعي , اما مصر فكانت تعمل بالضد من ذلك فهي كانت تحاول اعادة بناء مؤسساتها بعد الثورة وخاصة من الناحيتين السياسية و الاقتصادية وتعمل جاهدا لتهيئة الظروف الاقليمية و الدولية لتحقيق ذلك فتراها تسعى لاستقطاب الدول العربية عبر الشعارات الوحدوية الرنانة في الوقت الذي كانت تميل في سياستها الخارجية الى المعسكر الاشتراكي على الرغم من اعلانها مبدا الوقوف على الحياد وعدم الانخراط في أية أحلاف غربية .

حاول نوري السعيد ربط العراق بحلف يضمن له عدم تسرب الافكار الشيوعية الى داخل العراق والدول العربية لما تحمله من مخاطر على انظمة الحكم الملكية في المنطقة, بينما اعتبر جمال عبد الناصر سعي نوري السعيد لربط الدول العربية بحلف بغداد نوع من انتزاع السيادة المصرية على الوطن العربي, وقد سعى نوري السعيد جاهدا إلى جعل حلف بغداد بديلا عن أية معاهدة سابقة مع بريطانيا و الدول الاقليمية التي اصبحت لا تتلاءم والتقدم الذي شهده العراق خلال تلك الفترة.

لعبت وسائل الاعلام المصرية دوراً خطيرا في تشويه صورة العراق و رئيس وزرائه نوري السعيد خاصة من مسألة تأميم قناة السويس و العدوان الثلاثي على مصرعام1965م .

دعمة مصر حركة الضباط الاحرار في العراق وساهمت من خلا وسائل اعلامها خاصة اذاعة صوت العرب في الترويج وكسب الدعم الاقليمي و الدولي لها واصبحت مصر بعدها تنفرد بالسياسة العربية.

ابرزت العلاقات بين البلدين عن وجود خلافات عميقة بين الدول العربية تمخضت عنها مشاكل لم تتمكن هذه الدول من تجاوزها حتى الوقت الراهن.

الهوامش

(1) عبد الرزاق احمد النصيري , نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام 1932 , (بغداد , طبع على نفقة جامعة ,1985) ,ص12.

(2) النصيري , المصدر السابق , ص ص15-24.

(3) المصدر نفسه , ص24.

(4) للمزيد من التفاصيل عن حياة نوري السعيد ودوره السياسي في تاريخ العراق ينظر :عصمت السعيد ,نوري السعيد رجل الدولة والانسان ,ط2,(بيروت ,دار الساقي ,2003) , ص ص 6-25

(5) لمزيد من التفصيل راجع بثينة عبد الرحمن التكريتي , جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية , 2000), ص57 ومابعدها.

(6) المصدر نفسه , ص17.

(7) للمزيد من التفاصيل حول حياة الرئيس المصري جمال عبد الناصر ودوره السياسي في تاريخ مصر ينظر .شوقي عبد الناصر , ثورة عبد الناصر , ط1 (قبرص ,شركة الموقف العربي للطباعة والنشر ,د.ت),ص5 ومايليها0؛ التكريتي, المصدر السابق, ص92.

(8) وليد محمد سعيد الاعظمي , نوري السعيد والصراع مع عبد الناصر , بغداد , المكتبة العالمية , 1988 , ص11.

(9) ليلى ياسين حسين الأمير , نوري السعيد ودوره في حلف بغداد وأثره في العلاقات العراقية – العربية حتى عام 1958 , بغداد , مكتبة اليقظة العربية , 2002 , ص145.

(10) المصدر نفسه , ص305.

(11) الامير, المصدر السابق ,ص ص 40-43.

(12) المصدر نفسه , ص145.

(13) مؤيد ابراهيم الونداوي , العراق في التقارير السنوية للسفارة البريطانية 1944 – 1958,ط1 ,(بغداد , دار الشؤون الثقافية العامة , 1992), ص210.

(14) المصدر النفسه , ص212.

DOI: https://doi.org/10.26682/hjuod.2018.20.2.9

(15) جمال مصطفى مردان , عبد الناصر والعراق 1952 – 1963,ط1, (بغداد , المكتبة الشرقية , 1990) , ص38.

(16) الأمير : المصدر السابق , ص152.

(17) المصدر نفسه , ص153.

(18) الاعظمي , المصدر السابق , ص26 ؛الامير ,المصدر السابق ,ص 152.

(19) اثارت زيارة صلاح سالم الى العراق ردود فعل عكسية في مصر وعد تصرفه من جانب واحد امرا فرديا من قبل المسؤولين المصريين واعلنوا انهم غير ملزمين بتنفيذ ما اتفق عليه . المصدر النفسه , ص156-157.

(20) المصدر نفسه , ص158.

(21) المصدر نفسه , ص159.

(22) فيصل حسون ,"خفايا واسرار عراقية وعربية في شهادات على هوامش التاريخ ",مجلة الحكمة ,العدد41,السنة التاسعة ,بغداد 2006,ص ص 177,178.

(23) نامق عبد الفتاح ,سياسة العراق الخارجية في المنطقة العربية1953-1958,ط1,(بغداد,منشورات وزارة الثقافة و الاعلام ,1978), ص334.

(24) الأعظمي , المصدر السابق , ص27.

(25) عبد الفتاح , المصدر السابق , ص327.

(26) , المصدر نفسه , ص337.

(27) سعيد ابو الريش , جمال عبد الناصر أخر العرب ,ط1,(بيروت , مركز دراسات الوحدة العربية ,2005) ,ص109.

(28) محمد حسنين هيكل ,قصة السويس اخر المعارك في زمن العمالقة ,ط2 ,(بيروت ,شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ,1982),ص ص 54,55

(29) الوناداوي :المصدر السابق , ص222.

(30) وميض جمال عمر نظمي وأخرون : التطور السياسي المعاصر في العراق,ط1,؟؟جامعة بغداد, ص 315.

(31) المصدر نفسه : ص316.

(32) طارق ابراهيم شريف ,سيرة حياة الملك فيصل 1935-1958 اخر ملوك العراق ,ط1,(عمان دار غيداء للنشر والتوزيع ,2011), ص75.

(33) جعفر عباس حميدي: التطورات والاتجاهات السياسية الداخلية في العراق 1953- 1958 م, ط1,(بغداد,ساعدت جامعة بغداد على طبعه, 1980), ص146.

(34) يشير محمد حسنين هيكل في كتابه عن ازمة السويس انه اعتمد على مصادر موثوقة في نقل هذا الحديث منها مذكرات اللورد كيلموير عضو مجلس الوزراء البريطاني والذي كان يحضر عشاء تلك الليلة ,الى جانب مذكرات انطوني ايدن التي نشرها بعنوان "دائرة كاملة " فضلا عن رواية شاهد عيان سجلها المؤرخ البريطاني هيوتوماي في دراسته عن وقائع السويس .للمزيد من التفاصيل ينظر: هيكل, المصدر السابق , ص135م

(35) عصمت السعيد ,نوري السعيد رجل الدولة والانسان ,ط2,(بيروت دار الساقي ,2003) ,ص ص 195-196.

(36) محمد حمدي صالح الجعفري ,نوري سعيد وبريطانيا خلاف ام وفاق ,ط1 ,(دمشق ,الاوائل للنشر والتوزيع ,2005),ص 109؛ مردان : المصدر السابق ,ص65.

(37) السعيد : المصدر السابق , ص193.

(38) مردان : المصدر السابق ,ص65.

(39) السعيد : المصدر السابق ,ص 195-195.

(40) عبد الجليل صالح موسى ,جمال عبد الناصر والقضية الكردية في العراق 1952-1970,ط1,(دهوك ,مطبعة محافظة دهوك ,2013) ,ص ص69-71.

(41) محمد حسن الزبيدي : ثورة 14 تموز 1958 ,ط1,(بغداد ,منشورات وزارة الثقافة والإعلام, , 198),ص125.

(42) الوناداوي : المصدر السابق , ص227-228.

(43) الزبيدي :المصدر السابق , ص404.

(44) مردان :المصدر السابق , ص87.

(45) لمزيد من التفاصيل عن حركة الضباط الأحرار ينظر: جعفر عباس حميدي , المصدر السابق , ص279.

(46) الزبيدي : المصدر السابق ,ص404.

(47) المصدر السابق , ص405.

(48) السعيد : المصدر السابق ,ص ص 306,305.

(49) مردان : المصدر السابق , ص96؛مؤيد ابراهيم الوناداوي ,وثائق ثورة 1958 في ملفات الحكومة البريطانية ,ط1,(بغداد ,المكتبة العالمية ,1990),ص 39

(50) المصدر نفسه , ص79.

(51) اسماعيل العارف ,اسرار ثورة 14 تموز وتاسيس الجمهورية العراقية ,ط1(لقاهرة ,دار الحياة للنشر والتوزيع ,2013) ,ص ص 277-278.